ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:07، العدد:01 (2023)، ص671-689

استراتيجية جيش التحرير الوطني في مواجهة مخطط شال بالولاية الثانية (عملية الأحجار الكريمة أنموذجا)

The strategy of the National Liberation Army in confronting Challe's Plan in the second region (Operation Precious stones as a model)

مصطفى بن السيلت*
مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
mostefa.bensilette@univ-alger2.dz

محمد بلقاسم
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
Belkmoha123@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/01/21
تاريخ القبول:
2023/03/19

الكلمات المفتاحية:
- ✓ مخطط شال
- ✓ جيش التحرير الوطني
- ✓ الأحجار الكريمة
- ✓ الاستراتيجية العسكرية

الملخص:

بعد تولي الجنرال ديغول للسلطة عام 1958 كان في تقديره أنه بالإمكان الاحتفاظ بالجزائر فرنسية إذا ما توفر فيها شرطان أساسيان أولهما القضاء على جيش التحرير الوطني وثانيهما القيام بإصلاحات اقتصادية واجتماعية، ولتحقيق الشرط الأول عزّز مكانته بقيادة عسكرية عُيِّن على رأسها الجنرال شال الذي قدّم له برنامجا عسكريا ضمّ محاور أساسية وذلك لتحقيق وَأْدِ الثورة داخل كلّ ولاية، وتعدّ عملية الأحجار الكريمة التي استهدفت الشمال القسنطيني منذ نوفمبر 1959م من العمليات العسكرية الكبرى في مخطط شال، والتي راح يحشد لها قوّة وعتادا عسكريا ضخما، إلا أنها اصطدمت بإرادة شعبية وفطنة من قيادة جيش التحرير التي وضع لها استراتيجية عسكرية مضادة أفشلت كل المخططات العسكرية.

Article info

Received:
21/01/2023
Accepted:
19/03/2023

Key words:
- ✓ Challe Plan
- ✓ National Liberation Army
- ✓ Precious stones
- ✓ Military strategy

Abstract:

Since General de Gaulle came to power in 1958, he believed that it was possible to keep French Algeria if two basic conditions were met. First, the Elimination of the National Liberation Army. Second, carrying out social and economic reforms. In order to achieve the first condition, he strengthened his position with a military leadership, headed by General Challe Who presented him with a military program that included basic axes to abort the revolution within each state. The operation of Precious stones that targeted the North of Constantine since November 1959 AD Within the major military operations of the Challe plan, for which he mobilized huge military strength and equipment, but they were clashed by the will of the people and the acumen of the leadership of the Liberation Army, which developed a counter-military strategy that thwarted all military plans.

*المؤلف المرسل

مقدمة

بعد تعيين الجنرال شال خلفا للجنرال سالان كقائد عام للقوات الفرنسية بالجزائر، لاحظ أنّ جميع الأساليب التي استخدمت قبله انتهت بالفشل، فقرّر وضع خطة عسكرية يحاول فيها القضاء على الثورة وأسفر تفكيره عن البرنامج الذي وضع عليه اسمه والذي عُرف فيما بعد باسم "**برنامج شال**"، وقد كان العسكريون والمدنيون الفرنسيون يعلقون أكثر الآمال عليه حتى يُمَكّنَهم من وضع حدّ للثورة. وقد اعتمدت خطة شال على مجموعة من الإجراءات وعلى رأسها القيام بعمليات واسعة تشارك فيها قوات عسكرية ضخمة، تبدأ من الغرب الجزائري وتمتد نحو الشرق وتستهدف كل عملية من عملياته ولاية معينة، ومنذ أوائل فيفري 1959 أصدر شال أوامره المتضمنة بضرورة الإسراع في تطبيق مخططه، لتنطلق أولى العمليات العسكرية في الولاية الخامسة تحت اسم التاج (Couronne)، وفي افريل 1959 انتقل بقواته نحو الولاية الرابعة لبدء عمليته الثانية التي سماها هذه المرة بالحزام (Courroie) وهكذا انتهج نفس المنهج مع باقي الولايات، وتعتبر عملية الأحجار الكريمة خامس المحطّات التي أراد بها شال القضاء على الثُّوّار بالشمال القسنطيني، **فإلى أي مدى استطاع الجنرال شال أن يتقدم بالولاية الثانية ؟ وكيف تكيف أفراد جيش التحرير مع الاستراتيجية العسكرية الجديدة؟**

1.التمهيد للعملية

استهدف شال الولاية الثانية التي كانت تحت قيادة سي صالح بوبنيدر (صوت العرب) بعملية جهنمية أطلق عليها علمية الأحجار الكريمة (**Pierres Précieuses**)، وقد بدأ الاستعداد لهذه العملية منذ شهر أكتوبر 1959 ووقع الشروع فيها خلال شهر نوفمبر من نفس السنة، إلاّ أنَّه هذه المرة كان يعلم أنّ منطقة الشمال القسنطيني صعبة الاختراق لتنفيذ عمليته فيذكر قائلا: "**إنّ القضية الآن أكثر صعوبة ذلك أنَّ كلّ هذه الجبال هي جبال الثوار ومراكز القطاع توجد في وضع المحاصِر بدل المحاصر**"[1]. ومع المشاكل الكبيرة التي اعترضته في بدء عمليته اضطر إلى العمل وفق خطة الزمر الصغيرة بتقسيم العملية إلى ثلاث فروع المكونة، من: عملية الفيروز، الزمرد وعملية الزبرجد بحيث يشغل كل واحد من هذه الفروع جزء من الولاية الثانية[2].

في الوقت الذي كان فيه شال يقوم بهجومات غرب الولاية أثناء حملته على الولاية الثالثة من خلال عملية Jumelles[3] ونقل قواته شرقا نحو الشمال القسنطيني المُشَكلة من الفيلق 25 للمظليين بقيادة ديكورنو والفيلق 11 للمشاة بقيادة هوبير[4]ولم تكد تنتهي العملية الأولى حتى انطلقت عملية الأحجار الكريمة مع فجر أول نوفمبر 1959، فشقّت العديد من القوافل والشاحنات طريق المالحة نحو آراس وباينان التي خرجت من المدن الجنوبية وفي نفس الوقت خرجت قوافل مماثلة من ثكنات العدو بالمدن الشمالية زاحفة نحو الجنوب[5] تاركا الفرقة العاشرة للمشاة(**10e DP**) بمنطقة القبائل، مقررا بذلك تطهير الجبال التي كان يراها صعبة والممتدة من القبائل الصغرى حتى سكيكدة[6]، وقام بتنصيب قاعدة عملياتية متقدمة للإشراف ومتابعة هذا البرنامج في ناحية قالمة[7] وقد حشد لها قوات عسكرية من كل الجنود الموجودين بالنواحي السبعة من الشمال القسنطيني وعددا كبيرا من فرق القوات الاحتياطية ما بين 35 إلى 50 ألف جندي[8] إلى جانب وحدات فيلق جيش

قسنطينة، وقد وضعت هذه القوات تحت قيادة الجنرال جانو(**Janot**) قائد منطقة الشمال القسنطيني الذي بدوره قام بتنصيب مركز قيادته وأطلق عليه تسمية "**Languedoc**"[9].

ولم يتم تحديد مدّة العملية هذه المرّة عكس ما كان بالولايات السابقة، إذ تواصلت حتى توقيف القتال فلم يسلم أي قسم أو ناحية من العمليات الإجرامية ومكثت قوات العدو بالجبال التي سيطر عليها والتي امتدت من ايدوغ بعنابة إلى بابور بولاية جيجل مرورا بجبال سكيكدة والقل والميلية والعنصر والطاهير وتكسانة [10].

وبالتالي غطت عملية الأحجار الكريمة معظم الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) ما بين جيجل والميلية وجبال القل وبشكل أكثر تحديدا المنطقة الشمالية وجزء من المنطقة الشرقية لقسنطينة[11].

2.التكتيك العسكري الفرنسي خلال عملية الأحجار الكريمة

تميزت عملية الأحجار الكريمة بضخامة القوات العسكرية المشاركة من عدّة وعتاد، خاصة أنَّ هذه القوات عرفت تدخلات سريعة باعتماد أسلوب المفاجأة مع التركيز على عامل الاستقرار والمكوث بالجبال والبقاء بها لمدة تزيد عن صبر المواطنين الفارين من المناطق المراد مسحها وتمشيطها حتى يسقطوا بين يدي العدو، فخلال هذه الفترة انتشرت القوات الفرنسية على أرض المنطقة وأخذت تتوسع وتتقدم، وقوات أخرى من فرق المظليّين وبالاستعانة بالطائرات والهليكوبتر أخذت تنزل من السماء بين الحين والآخر، في الوقت ذاته احتلّت بعض العناصر الأخرى المراكز العصبية الحساسة للحدّ من تسلسل الجيوش[12]، وقد ركزت القيادة العسكرية للقضاء على الثوار بالمنطقة على الاستراتيجية والتكتيك التالي:

1.2. إنشاء المراكز العسكرية

ركزت القوات الفرنسية على إقامة عدة مراكز متقدمة بالجبال من الكومندوس وعناصر لاصاص وفرق الشؤون الأهلية إلى جانب مراكز أخرى للاستطلاع والمراقبة وهذا بهدف قطع الطريق والاتصالات بين أفراد جيش التحرير وتسهيل مراقبة المناطق الداخلية [13]. وقد عرفت المنطقة الأولى لوحدها إنشاء عدة مراكز بالقرب من مركز تكسانة التي امتدت منه لغاية جيجل حتى صارت المسافة بينهما 21 كلم بها 06 مراكز وهي قاوس والدار دار، كاف المجاهدين، الغريانة السقاطة وتكسانة [14].

ومع بداية العملية بدأ شال بإنشاء مراكز مؤقتة حاول خلالها تفادي الاشتباك مع أفراد جيش التحرير والتمركز في المناطق التي لم تكن له فيها مراكز من قبل[15] واختار على الخصوص الأماكن التي تربط بين السهول والجبال مثل الطرق التي تربط ما بين ميلة إلى أولاد عسكر ومن الطريق إلى أولاد عسكر وزويتلة والطرق التي تؤدي إلى أولاد بوسبع ولكي يسهل على العدو الانتقال من هذه المراكز إلى المناطق الجبلية عمد إلى تعبيد طرق جديدة وقد جاء هذا الاختيار لاحتلال هذه السهول لفرض الحصار الاقتصادي والغذائي على السكان خاصة وأنَّ السهول كانت هي المُمَوِّن الرئيسي لسكان الجبال، فقد كان سكان الجهات الجبلية الصعبة ينظمون أسواقا يشترون منها كلّ ما هم بحاجة إليه من أغذية، وبذلك كان العدو يقصد قطع المواد عن الأسواق الجبلية وتجويع السكان حتى يضطروا إلى مغادرة المعاقل الجبلية والنزول إلى السهول حيث يأمل

الجيش الفرنسي أن يستغل كل ما لديهم من معلومات عن الجيش ومراكزه وغير ذلك ممّا يمكن أن يستفيد منه، ومن ثَمَّ يعمل على تهجيرهم وحشرهم بالمحتشدات والمراكز القصديرية العفنة التي أنشاها بالقرب من الثكنات العسكرية وفق ظروف معيشية مزرية يرثى لها[16]، كما كانت هذه المحتشدات تشهد داخلها عمليات غسل الدماغ بتأثير من مكاتب الفرق الإدارية الخاصة التي كانت مقراتها منتشرة في المدن والقرى، تذكر جريدة المجاهد أنَّه خلال الأسبوعين الأولين من انطلاق العملية تم تهجير أكثر من سبعة آلاف جزائري وإخلاء ديارهم[17]، وفي جانب أخر وكمحاولة لعزل السكان عن الثوار واستمالتهم تم تشغيل بعض من أفراد الشعب وترقيتهم [18].

2.2. استخدام الأسلحة المحرمة

شهدت العملية تطبيق سياسية الأرض المحروقة وذلك بحرق الغابات والديار وقتل الحيوانات فقد تمّ استعمال الأسلحة المحرمة دوليا مثل النبالم التي كانت تقصف المجاهدين جوا بالاستعانة بالطائرات الأمريكية B26 التي تنفجر بمجرد ملامسة الأرض وتحرق كلّ ما تلمسه، إلى جانب استخدام قنابل أخرى التي يصفها المجاهد سديرة الطيب ".. **أنها قنابل في شكل بيضة يرميها علينا العدو وعلى مزارعنا بواسطة طيرانه من علو شاهق، وعندما تسخن بفعل حرارة الشمس تتفتق وتسيل ثم تحترق وتحرق الأرضية التي وقعت فيها...**"[19].

كما تمّ الإعلان على العديد من المناطق كمناطق محرمة أو ممنوعة بحيث أن كل منطقة تعرف اشتباك تصبح ضمنيا وبطريقة تلقائية منطقة محرمة حتى تسهل عملية خنق أفراد جيش التحرير واستهدفت العديد من المناطق القريبة من المراكز الهامة كقسنطينة والميلية والقل، فناحية قسنطينة التي شملت مناطق بعيد الملاح ،الغراب وفوبورلامي قد اعتبرت مناطق ممنوعة وبالنسبة لناحية الميلية وما يبعدها من مائة متر من الأسلاك الشائكة كمنطقتي الساريج أولاد عبدون أصبحت مناطق محرمة وبالنسبة للقل تم اعتبار كل ما وراء الأسلاك الشائكة مناطق ممنوعة [20].

3.2. المداهمات والاستنطاق

خلال العملية عرفت مداهمات عسكرية وحملات تفتيشية مفاجئة في نقاط عديدة خاصة في المدن الهامة والحصينة مثل قسنطينة التي اعتبرها العدو إحدى القلاع الكبرى في الجزائر، فقد طوقت بأسلاك شائكة وتواصلت الدوريات بها دون انقطاع ليل نهار بتجوالها داخل المدينة، وكانت هذه الدوريات مجهزة بأجهزة إرسال والتقاط، إذ كانت في الحي الواحد ثلاثة أنواع من دوريات الحراس (المتنقلون الاحتياطيون والمظليون) إلى جانب إغلاق مداخل ومخارج شوارع المدينة بوضع على كلّ مدخل شارع حارسين أو ستة جنود معززين بالأسلحة والحرس المتنقل تراقب السكان والمساكن من حين لآخر في الليل، كما شارك جهاز المخابرات والاستنطاق في العديد من عمليات المداهمة فقد كان يتمّ التنكيل بجثث الشهداء وذلك بقطع رؤوسهم وتعليقها ومنع دفنها حتى يزرع الخوف لدى السكان، إلى جانب هذا خصّصت سجون للأسرى المجاهدين كقصر الطير

بسطيف واستعمال كل أنواع التعذيب الجسدي والمعنوي ضدهم، وكثيرا ما كانت تتم المداهمات الليلة للمنازل وخطف الرجال والاعتداء على الحرمات بالمدن والقرى مع الانتقام من المدنيين بالقتل والدفن الجماعي كلما جوبهت أو هوجمت قوات العدوّ من طرف المجاهدين أو الفدائيين.

4.2.الاستعانة بفرق الحركى والتمويه

حين لم تستطع القوات العسكرية الفرنسية مواجهة جيش التحرير الذي اعتمد حرب العصابات، حاول العدو ملاحقة المجاهدين واستفزازهم لإجبارهم على المواجهة فقام بالاستعانة بفرق الحركى وإجبارهم على تقليد المجاهدين في اتصالهم بالشعب، خاصة وأنّ سكان الجبال كانوا يلوذون بالفرار عند قدوم الجيش الفرنسي، إلى جانب الاستعانة بفرق الكومندات المكونة خصيصا في فن حرب العصابات والمتخرجة من مدرسة **جان دارك** بسكيكدة للتغلغل وسط الجماهير وجمع المعلومات عن مكان تمركز قيادة الولاية وعدد المجاهدين ومراكز التموين والأسلحة وغيرها من المعلومات، وكانوا يموهون السكان بلبس الجلابيب وبدلات مدنية وأخرى عسكرية شبيهة بزي جنود جيش التحرير بالقبعات والرايات ويعرفون أنفسهم على أساس أنهم من عناصر جيش التحرير الوطني التائهين بعد هروبهم من اشتباك أو كمين نصبه لهم العدو، أو أنهم فارون من الجيش الفرنسي ويريدون الالتحاق بالثورة[21].

كما تم استغلال كل أنواع الشرطة ومن بينها على سبيل الذكر: شرطة الدولة أو شرطة الأمن العام PE، شرطة المخابرات العامة PRG، شرطة المخابرات الخاصة PG، شرطة العمليات الوقائية، شرطة المكتب الثاني، شرطة المكتب الخامس، شرطة التجسس والمضاد للجوسسة SDECE ورجال الدرك [22].

3. المراحل الرئيسية لعملية الأحجار الكريمة

نظرا لاتساع مساحة الولاية الثانية وصعوبة مسالكها الجبلية وتجذر عمق الثورة التحريرية بها، والفشل الذريع الذي مني به شال في عملية (Jumelles) اضطر كما ذكرنا سابقا إلى تقسيم العملية إلى ثلاث عمليات رئيسية وكل منها مخصص لجزء من الولاية وهي:

1.3. الفيروز: Turquoise [23]

شرعت الفرقة 25 للمظليين ابتداء من تاريخ نوفمبر 1959 إلى غاية سبتمبر 1960 في الانطلاق بعملية الفيروز التي شملت المنطقة الشمالية الغربية للشمال القسنطيني، أي مناطق قطاع جيجل بما فيه منطقة اراقن وقطاع الميلية وقطاع ميلة[24]، وتم اتخاذ باينان مبدئيا كمركز لقيادة عملية الفيروز[25]، وعين الجنرال دي كورنو (Ducournou) كقائد لعملية الفيروز ووضعت تحت إمرته كل القوات العسكرية المسخرة والموجودة في هذا النطاق، وتم التشديد على تنصيب منطقة عملياتية مؤقتة ملحقة بمنطقة الشمال القسنطيني وتغطي القطاعات الثلاث مع انطلاق العملية في الساعة صفر، وتوضع هذه المنطقة العملياتية الغربية تحت قيادة الجنرال **دي كورنو** برفقة قائد الفرقة 25 للمظليين الذي يضمن قيادة عملية الفيروز بتفويض من الجنرال جانو

قائد منطقة الشمال القسنطيني وله السلطة أيضا على النواحي التي يقوم بتحديد الأقاليم والمناطق العملياتية التي يراها مناسبة لمهمته ويأخذ بعين الاعتبار الوسائل الموضوعة تحت تصرفه[26].

وكان من مهام القائد السهر على عزل السكان من سيطرة جيش وجبهة التحرير الوطني ومساعدة القطاع العسكري على استعادة السيطرة عليهم من خلال تحطيم التنظيم السياسي والعسكري لها، إلى جانب توسيع النفوذ في المنقطة المعنية بالعملية لذلك ركزت المجهودات في البداية على طول الطريق الوطني رقم 27 على بني سبيحي وأولاد عسكر ثم منطقة المشاط ودوار حيان مرورا بمحور القرارم الميلية وسيدي عبد العزيز ثم التوغل تدريجيا في قطاع جيجل وميلة مع الأخذ بضرورة الاتصال والتنسيق مع منطقة غرب قسنطينة التي كانت تضم قروش تامزغيدة جبل الحلفة ناحية جميلة ،كما حاول قادة النواحي استمالة السكان وتجنيدهم في صفوف الجيش الفرنسي فعلى سبيل الذكر ناحية الميليا التي كانت تحت قيادة روجي ترانكيي (Roger Trinquier) الذي خاطب سكان المنطقة قائلا : "**غدًا سيأتي الجنرال ديغول لرؤيتنا لدي عشر شاحنات تحت تصرفكم، فمن يريد رؤيته فليصعد إلى الطابق العلوي للشاحنة**" وهو ما نجح في حشده فلم تمض لحظات حتى أصبحت الشاحنات العشر ممتلئة. وهو ما جعل ديغول مسرورا بذلك ويهنئه بنجاحه في حشد هؤلاء المدنيين مما أعطاه أملا في نجاح العملية، مذكرا ترانكيي أن قطاعه صعب وعليه أن يواصل ذلك[27].

1.1.3. القوات العسكرية المشاركة خلال عملية الفيروز

لتحقيق أهداف هذه المرحلة تم تسخير مجموعة من القوات العسكرية التي تم تنصيبها ابتداء من01 نوفمبر مساء ومن هذه القوات العسكرية ما يلي:[28]

- وحدات من الفرقة 25 للمظليين.
- الوحدات المنتشرة في إقليم وقطاع المنطقة العملياتية المؤقتة.
- وسائل الدعم من المنطقة الشمالية لقسنطينة ومن الثكنات العسكرية بقسنطينة.
- مفرزات التدخل للحوامات DIH والدعم الجوي المتمثل في: طائرات من نوع بيبر Piper التابعة للفرقة 25 للمظليين المتمركزة بجيجل وطائرات تابعة للفرقة 14 للتدخل DI 14، إلى جانب الهيلوكبتر التابعة لفيلق جيش قسنطينة، وطائرتين كبيرتين من نوع بال Bell إلى جانب طائر قبرة وطائرتان ميراج.
- شاحنات طبية كبيرة متواجدة في نواحي جيجل ميلة والميلية[29].

في حين تبقى القوات البحرية في حالة استعداد من أجل المشاركة في المنطقة الساحلية من خلال إمكانية الإنزال أو الدعم وبذلك وضعت أربع كتائب من الفرقة البحرية تحت تصرف قائد المنطقة العملياتية المؤقتة الغربية انطلاقا من اليوم الثالث في ميناء جيجل[30].

2.3. الزمرد Emeraud [31]

شرع في تنفيذ هذه المرحلة في 06 نوفمبر 1959م حسب التعليمات العسكرية الصادرة من قيادة هيئة الأركان واستهدفت القل وسكيكدة، وتم وضع الجنرال هيبارت على رأس القيادة[32]، كما تم تسخير الفوج الحادي

عشر والفوج الخامس للمشاة الأجنبية والكتيبة المدرعة 13 ووضعهم تحت تصرف الكولونيل قائد قطاع القل فودري بمساعدة عناصر القطاع المكلفين بمهمة استعادة التحكم في المنطقة الغربية، واستهدفت العملية تدمير عناصر التنظيم السياسي والعسكري لجبهة التحرير المتمركزة في ناحية القل. وخلالها تم إنشاء مراكز عسكرية ومكاتب المصالح الإدارية المختصة SAS إلى جانب إقامة محتشدات للسكان التي تسمح بمراقبة المنطقة. تم تنظيم القيادة خلال عملية الزمرد من خلال إنشاء قطاعين فرعين عمليتين مؤقتين ابتداء من 6 نوفمبر 1959 القطاع الأول قطاع فرعي شمالي تحت قيادة الكولونيل قائد الفرقة المدرعة 13.

1.2.3.العتاد والقوات العسكرية المسخرة

إلى جانب الفرق العسكرية السابقة تم تسخير عدة وسائل عسكرية تظهر كالتالي:

- بطارية مدفعية من نوع RA 67 (البطارية 1)
- كتيبتان تابعة للفرقة 6 للهندسة مع جرافة بيلدوزر
- وحدة اتصال تحت قيادة الكتيبة قائد قطاع .Bessombroug
- وحدات قطاعية في قطاع Bessombroug واحدة تابعة لسلاح الهندسة وتم تنصيبها على حدود واد الزهور.
- الفرقة 13 مدرعة.
- –كتيبة تابعة لفرقة النقل 502.
- فرقة من الدرك مكونة من 04 دركي.
- 2 فرقة مطاردة تضم 2 حركي.

كما تم تسخير جنود عناصر القطاعات بالدرجة الأولى في بناء المراكز المسطرة أو التي لم يتم الانتهاء من بناءها ومساعدة فرق الهندسة من خلال معرفتهم لمنطقة الميدان ومعرفتهم للسكان.[33]

3.3. الزبرجد Topaze[34]

بدأت هذه العملية في 9 نوفمبر 1959 واستمرت إلى غاية شهر سبتمبر1960، شملت جبل إيدوغ بين عنابة وسكيكدة، وامتدت إلى القالة [35].

خلال عملية الأحجار الكريمة تواصلت الأعمال بكل جد وكانت الحرب سجالا بين جيش التحرير وقوات العدو الذي استمر في برنامجه الإبادي، فقد كثرت الخسائر البشرية بين الطرفين ولم تتوقف هذه الهجمات المتمثلة في مداهمات فجائية مرعبة والمقنبلة بالمدافع الميدانية والطيران، وحرق الغابات والتنكيل بالشعب الذي حشده داخل محتشدات وتعذيب كلّ من يقع تحت قبضته خارجها من المواطنين ومنع الرجال دون النساء أحيانا من مغادرتها، اللائي كن يخرجن بغرض جلب الحطب والبقول ومن ثم الاتصال بالمجاهدين والقيام بالواجب نحو الثورة كالإدلاء بالمعلومات عن عساكر العدو وعن الجوّ الذي يعيشه الشعب بها وعن الخسائر التي تلحقه نتيجة ضربات جيش التحرير وكشف كمائنه وعدد خرجاته الليلية وغيرها.

4.استراتيجية جيش التحرير في مواجهة الأحجار الكريمة

تعترف القيادة الفرنسية بأنّ ولاية الشمال القسنطيني محصنة سواء من ناحية تنظيمها أو تسليحها، حتى إنَّ الناطق الرسمي باسم قيادة عمليات شال صرح يوم 08 ديسمبر 1959 بأن هناك مناطق في هذه الولاية لم تستطع القوات الفرنسية للوصول إليها من أكثر من ثلاث سنوات ومن الصعوبة اختراقها والقضاء على قواتها الأساسية[36].

إنَّ هذا الاعتراف الذي نقلته جريدة المجاهد لدليل على أنَّ القيادة الفرنسية وجدت نفسها أمام جدار محصن ليس فقط من ناحية التنظيم العسكري المحكم فقط ولكن أيضا من ناحية التنظيم الثوري للسكان بحيث لم يستطع الفرنسيين أن يحصلوا من المدنيين على أية معلومة حول تنقلات جيش التحرير ومراكزه وطرق انتقاله ممَّا اضطر بالعدو إلى انتهاج العنف في حق المدنيين العزل.

مع بدأ الزحف الكبير للقوات العسكرية نحو الولاية الثانية تأكد لقادة الثورة ضرورة انطلاق الخطة الجديدة للعدو فتم أخذ الاحتياطات للتأهب والتصدي، ويذكر كاتب الولاية الثانية المجاهد جودي لخضر بوالطمين من خلال مذكراته عن استعدادات الولاية الثانية قائلا: " **إنَّ نظامنا كان مساير للأحداث واتخذنا كل الإجراءات والتدابير لمجابهة حملات العدو فلم نكتف بنصب الكمائن والقيام بشتى أنواع التخريب والأعمال الفدائية، وعن النشاط داخل المدن والقرى وحتى المحتشدات وعززنا شبكاتنا الإخبارية وكثر اتصالنا بالعساكر المسلمين وحتى بالقومية والحركى، كما قمنا بنشاط متزايد في خدمة الخنادق والمخابئ الأرضية وأكثرنا من جمع التموين من غذاء ولباس وأدوية وكثفنا نشاطنا الإعلامي لمواجهة حملات العدو**"[37].

من أجل ذلك رسم قادة الولاية خطة جديدة لمجابهة عمليات الأحجار الكريمة فأعطيت أوامر لفرق جيش التحرير[38] وأعضاء الجبهة لكي يأخذ كلّ واحد حذره وقد وضحتها الرسالة المؤرخة يوم 13 مارس 1960 الموجهة من قيادة الولاية الثانية نحو الولاية الأولى، وتتمثل هذه الاستراتيجية والأوامر الموجهة كما يلي:

1.4. في الميدان العسكري

1- تقسيم الوحدات العسكرية التي تتكون من 35 مجاهد إلى أفواج صغيرة لا تتجاوز 12 مجاهد حتى يسهل لها التنقل والقتال[39]، وفي هذا الصدد يتحدث أحد قادة مناطق الولاية الثانية أحمد بلعابد عن تجسيد منطقته لاستراتيجية المجابهة بالقول: "**انقسمنا إلى أفواج صغيرة بما في ذلك الجنود والضباط، لم يعد هناك لا مركز قيادة ولا سكرتارية ولا أي شيء آخر لا ننقل كل شيء معنا من الوثائق والأوراق الأخرى، وكنا في بعض الأحيان نعمد إلى استعمال الشفرة لكي يعسر على العدو فك رموزها**"[40]، بعد التقسيم تم تثبيت كل وحدة كبيرة في مكان تمركزها مع تجنب تجمع عدد كبير من الجنود في المناطق الضيقة خاصة مع تواجد قوات شال الضخمة، في حين تنتشر الأفواج الصغيرة في كل المناطق حتى تتمكن من مراقبة تحركات العدو ومن ثم تسهيل الاتصالات والحصول على بالمؤونة[41]. كما تم توجيه تعليمات إلى هذه الأفواج بمراقبة أماكن قنبلة

العدو واستخراج كل قنبلة لم تنفجر قبل أن يلحق بها العدو وذلك لإعادة إصلاحها واستخدامه ضده[42]. وقد اهتدى المجاهدون للتخفيف من تأثير تفجير النبالم إلى التقاط القنابل البيضوية بوضعها في دلو ماء ثم يتم تفجيرها ليزول مفعولها، كما يتم مقاومة مفعوله برمي الطين على كل من حرق به [43].

2- تفويت الفرصة على العدو بعدم مواجهته وتحاشي الاصطدام معه في الاشتباكات الكبرى الغير مفيدة والاكتفاء بالضربات الخفيفة الناجحة التي تساعد على غنم الكثير من الأسلحة، خاصة وأنَّ كل اشتباك كان يؤدي إلى هدر للذخيرة خاصة في ظلّ اللاتوازن بين الطرفين مما يسمح للعدو بتسليط نيران مدافعه وسلاحه على المواجهين ما يؤدي إلى ارتفاع عدد الشهداء المجاهدين وبين أوساط الشعب الذي دائما ما يلجئ إليه العدو للانتقام منه[44]، وقد وجهت تعليمات مشددة تصل إلى حد العقوبة على كل مخالف لهذه التعليمات ومن أبرز ما تمَّ التركيز عليه هو منع إطلاق الرصاص بغير سبب موجه، أي على كل مجاهد الاقتصاد ما أمكن له ذلك في الذخيرة، وقد تم أيضا منع إطلاق النَّار على الطائرات إلا إذا كان المجاهد متأكد من إصابتها عند تحليقها بعلو منخفض[45].

كما حاول المجاهدون منع الطائرات العسكرية من الهبوط وذلك بغرس بعض فروع الأشجار الضخمة في المناطق الجرداء – كون أن الطائرات العسكرية كانت تهبط في هذه المناطق- الأمر الذي صعب من مهمة هبوط هذه الطائرات التي تبقى تحوم في هذه المناطق وبالتالي لا تتمكن من إنزال قواتها العسكرية بالتالي تسهيل الإفلات من الحصار[46].

3- مواصلة نشاط جيش التحرير باعتماد أسلوب حرب العصابات والإكثار من حرب الكمائن وأعمال التهديم والتخريب كلما سمحت الظروف خاصة ليلا حتى لا يتمكن العدو من استخدام الطائرات والمدافع، وذلك بضرب دوريات العدو حال خروجها من مراكزها ثم الانسحاب بسرعة مع مهاجمة المراكز الصغيرة والمعزولة أي بنصب الكمائن في النقط الحساسة لعرقلة خطط العدو خاصة مع انهيار معنوياته، كقطع الاتصال بين طرق ومراكز العدو وكل مصالحه الحيوية وذلك بتلغيم الطرق الكبيرة وخطوط الهاتف والكهرباء والجسور[47].

رافق استراتيجية حرب العصابات تكثيف العمليات الفدائية في المدن والقرى ضد عساكر وضباط العدو والخونة بانتهاج أسلوب الكرّ والفرّ حيث كانت قوات جيش التحرير تنتقل إلى السهول والسفوح حال احتلال العدو لقمم الجبال وتعود إلى الجبال إذا هجرها العدو[48]، ومن بين العمليات الفدائية قيام "**بعداش بشير**" بتنفيذ عملية داخل المدنية استهدفت تنفيذ حكم الإعدام في أحد الخونة ، فبعد نجاحه في تنفيذ العملية قام بإلقاء سلاحه المسدس في الطريق العام وواصل مسيره ليلتقطه "**علواش**" أحد أفراد المكتب الثاني للشرطة الفرنسية وقام بإخفائه في مرحاض عمومي، لكن مع متابعة ومراقبة أفراد جيش التحرير لكل التحركات لم تمض أيام حتى عاد المسدس إلى الجبل[49]، وكان من بين الكمائن المنصوبة كمين جسر حمادة يوم 1960/07/30 على الطريق الولائي الرابط بين القل والميلية أسقط خلاله المجاهدون 24 جندي فرنسي وأسر

اثنين من القومية في حين تم غنم 20 قطعة سلاح، وسقط خلاله مسؤول الفرقة وأصيب اثنان آخران بجروح[50].

ومن خلال إحصائيات التقارير الجهوية لكتابة تاريخ الثورة يحصي بوالطمين مجموع الهجومات والاشتباك والكمائن وعمليات الفداء خلال هذه المرحلة في الجدول أسفله رغم أنه يرجح أن هذه الاحصائيات قليلة ولم تعط الولاية حقها من التدقيق[51].

السنوات	الهجوم	الاشتباك	الكمائن	الفداء	التخريب
1959	57	482	136	145	66
1960	33	485	158	184	23
1961	34	465	114	334	47
1962	12	41	11	80	04
المجموع	136	1473	419	743	140

– العودة إلى استعمال الأسلحة السابقة كبنادق الصيد وبعض أنواع المسدسات العادية والقنابل المصنوعة محليا خاصة مع التعليمات الجديدة التي تقضي بإخفاء الأسلحة الثقيلة التي تتطلب ذخيرة كبيرة وإيقاف استعمالها كمدافع الهاون، البازوكا والرشاشات بنوعيها 30 و40، فقد كان يتّم خزن هذه الأسلحة في أماكن آمنة لا يعرفها سوى مسؤول القسم والمسؤول العسكري وأن يحتفظ كلاهما بخريطة للموقع[52].

– ارتداء الملابس المدنية فوق الملابس العسكرية للتمويه بها خاصة في المشاتي القريبة من مراكز العدو والتي لم تعرف تجميع سكانها بالمحتشدات والتي تركها العدو للإيقاع بأفراد جيش التحرير وكانت هذه المناطق قليلة[53].

– منع التواجد في المراكز القديمة والمعروفة مع تلغيم كل المراكز التي اكتشفها الجيش الفرنسي قبل أن يقوم باقتحامها والاعتماد على التنقل السريع واستغلال تضاريس المنطقة بحفر خندق ومخابئ (كازمات) تحت الأرض للجنود والمناضلين لاستغلالها عند الحاجة خاصة في السهول وفي الأراضي المحروقة وقرب المدن والمراكز العسكرية والمحتشدات الإجبارية[54].

– تكوين خلايا ثورية نظامية داخل كل المحتشدات حيث في الوقت الذي سارع فيه الجنرال شال إلى إجلاء السكان عن مساكنهم وحشدهم داخل تجمعات سكانية ظانّا بذلك أنّه حرم جيش التحرير من تأييد السكان إلّا أنّه أوجد لنفسه فشلا عسكريا آخر، فقد وجد جيش التحرير مناطق جديدة فارغة من السكان مما جعله أكثر حرية في التنقل من ذي قبل خاصة وأنّه لم يعد يخاف من المدنيين من جهة، والفرنسيين لم يعد بإمكانهم الحصول على معلومات تنقلات المجاهدين من جهة أخرى، وفي المقابل أمام تضخم مراكز التجميع أصبح من الصعب على الفرنسيين مراقبة المحتشدين مراقبة فعالة رغم الحراسة المشددة المفروضة وقرب هذه المراكز من المراكز العسكرية الفرنسية، وهو ما سهل على أفراد جيش التحرير اختراق هذه المراكز وتمكنوا من القيام بنشاطهم داخل تلك المحتشدات بكلّ سهولة وأصبح النظام الثوري متواصلا بين أفراد الشعب والجيش، كما

رفعوا من معنويات السكان وتمكنوا من عقد اجتماعات وخطبا عمومية توجيهية من إلقاء المرشد السياسي وقاموا بالدعايات الواسعة لفائدة الثورة، وبقدر ما كانت هذه المحتشدات كبيرة بقدر ما اتَّسع نشاط الجبهة داخلها بل وكثيرا ما كان يتمّ تهريب السكان من داخل هذه المراكز وذلك حتى باعتراف القيادة الفرنسية بحد ذاتها[55].

– محاولة التواجد والتقرب من المراكز العسكرية والتقليل من الذهاب إلى الجبال مع التنبيه بعدم جعل أي مركز ثابت، خاصة مراكز صناعة وإصلاح الأسلحة والمستشفيات ومراكز الخياطة، حتى مخابئ التموين التي في كثير من الأحيان كان يتمّ تغييرها مع الوقت وهذا كمحاولة تجنيب كشفها من قبل الأسرى الذين يكونون تحت التعذيب وجاء هذا كاحتياط احترازي رغم أنّ هذه المراكز لم تكن مكشوفة ومعروفة لدى كل الوحدات العسكرية أو الهياكل السياسية [56].

– فتح عدة جبهات حربية خارج الولاية لفكّ الحصار الداخلي إلى جانب القيام بعدّة عمليات تخريبية وهجمات مباغتة بضرب قوافل التموين والإمداد لقوات العدو[57]، إذ أصدرت قيادة الثورة أوامرها بتنفيذ سلسلة متواصلة من الهجومات والتحرشات ضدَّ مراكز وثكنات الجيش الفرنسي المكلفة بحماية ومراقبة السدّ المكهرب في الحدود الشرقية والغربية وكذا تنظيم هجومات على الخطوط المكهربة خاصة خط موريس[58]، فقد هاجمت وحدات جيش التحرير خطي شال وموريس بعد بدء عملتي الفيروز والزمرد من الجهة الشرقية والخط المكهرب الغربي في نفس الوقت، ممّا جعل القيادة الفرنسية تتفاجئ من اتساع نطاق هذه الهجومات وبهذا التنسيق ونجاحه في ضرب المواقع الحساسة للجيش الفرنسي، كما فوجئت باجتياز فرق عديدة من جيش التحرير للخطوط المكهربة وتخريبها من غير أن تصاب بأي خسائر، وهو ما شكل إحراجا كبيرا للقيادة العسكرية الفرنسية وحكومته خاصة وأنّها تعتبر أنّ هذه الخطوط نقاط مركزية أساسية لنجاح العمليات العسكرية بالجزائر، ممّا اضطر بالقيادة الفرنسية تعمل على جلب قوات ضخمة من قلب الجزائر وحشدها على طول الخطوط المكهربة[59].

وخلال الفترة الممتدّة ما بين 26 نوفمبر 1959 إلى 10 جانفي 1960 نفذت عملية (عميروش) التي شاركت فيها عشرة كتائب يقدر مجموع عدد أفرادها حوالي 1300 فرد وبلغ عدد الهجومات والاقتحام 223 عملية بما فيها 23 عملية تخريب و08 محاولات عبور للسد المكهرب نجحت خلالها بعض المجموعات في الوصول إلى الولايات الداخلية وهي محملة بالسلاح[60].

رغم أنّ الهجومات على الخطين لم تتوقف على طول الجبهتين الشرقية والغربية إلّا أنّ هذا الهجوم مع بداية عملية الأحجار الكريمة قد جعل البرنامج العسكري الذي استهدف الشمال القسنطيني قد تحطم في بدايته، ممَّا أثار احتجاج السلطات الفرنسية لدى حكومتي المغرب وتونس بحجة أن أراضي هاتين الدولتين تحتوي على قواعد انطلقت منها وحدات جيش التحرير لتنفيذ هذه العمليات.

– العمل على استمالة قوات الدفاع الذاتي، والتي أثمرت العديد من الاتصالات والمساعي في كسب هذه القوات لصفوف الثورة مثلما حدث مع فرار فوج من هذه القوات المتمركزة بدشرة بن حبيلس بكل أسلحته والتحقوا بالثورة

بمشتة بوخلاد دوار الروسية، وقد تم توزيعهم على وحدات جيش التحرير مع البقاء والانتباه لهؤلاء الأفراد الجدد بعدم اطلاعهم بكلّ أسرار الثورة لغاية التأكد من وطنيتهم وإخلاصهم[61].

2.4. في الميدان الإداري والسياسي

سايرت الأوامر العسكرية الجانب الإداري من خلال تشديد التعليمات على قادة النواحي والمناطق والضباط السياسيين وكتاب الولاية وغيرهم، خاصة مع انطلاق عمليات شال بالولاية نجد أنَّ صفوف جيش التحرير قد تعزَّزت بعناصر المنظمة السياسية الإدارية من المناطق المحرمة التي حُرمت من كلّ مصادر الحياة والتي تكفّل بها جيش التحرير في الوقت الذي كان فيه في حاجة لتخفيف وحداته لأسباب عديدة ولعلَّ ما يمكن إبرازه من توجيهات إدارية لمواجهة عملية الأحجار الكريمة ما يلي[62] :

– ضرورة إعادة تنظيم الهياكل النظامية لقيادة الثورة بسرعة خاصة بعد الفراغات الواقعة في المجالس نتيجة الاستشهاد والأسر، خاصة أنَّ إطارات جيش التحرير بالولاية قد مسّهم ضرر كبير على جميع المستويات من القسم إلى الولاية كحسين رويبح على مستوى قيادة الولاية إضافة إلى سيد سعيد بن طوبال سي محمود بن تونسي ووقوع سي الطاهر بوسنة كأسير وبشير لكحل وغيرهم، لذلك كثيرا ما نجد تعيين العديد من المناضلين لتعويض قيادة المناطق والنواحي حتى تتواصل الثورة [63]. فعلى سبيل الذكر تمّ تحويل مسؤول القسم الثالث (إبراهيم رأس العين) إلى مسؤول القسم الأول بعد استشهاد مسؤوله رابح بوذراع في الوقت نفسه استخلف مسؤول القسم الثالث المجاهد بن عميرة محمد الطاهر، وحين استشهد رابح بوعتوط المسؤول الإخباري وحسين بن الشيخ المسؤول العسكري وأسر الطاهر بوسنة المسؤول السياسي تم استخلافهم بترقية مجموعة من الضباط من الأقسام وهم سي محمد بوكبير وصالح بلخلفة وسي مسعود بونعاس (النية) والشيخ أحمد لشهب وتم توزيع المسؤوليات عليهم[64] وهكذا تم التعيين في كلّ الأقسام والنواحي التي تعرف فراغا فقد سارع كل مستخلف جديد إلى تطبيق التعليمات الثورية بجمع الأسلحة وإخفائها وتقسيم وحدات جيش التحرير لمواصلة مواجهة العمليات العسكرية بالمنطقة .

– ضرورة ربط الاتصال بصورة أدقّ وأكثر من أي وقت مضى بين مختلف الهيئات النظامية والمسؤولين بين النواحي والقطاعات للحفاظ على وحدة وانسجام كلّ الوحدات، ويتّم ذلك بواسطة جندي مسلح يعرف المنطقة جيدا، واستخدام الرسائل المشفرة مع قيام كل مسؤول بكلّ مهامه ومهام زملائه وأن يخبر كل مسؤول قطاع الآخر بما قام به في قطاعه [65].

– إصدار أوامر تقتضي بتوقيف الكتابة العامة بالولاية وإخفاء وسائلها وتوزيع وحدات الكتابة على مختلف المناطق والنواحي كما تمَّ ذلك مع بعض القائمين على مصلحة اللاسلكي، وفي هذا الصدد يوضح بوالطمين الجودي قائلا: "... **في الفترة التي كنّا فيها متمركزين في مركز الزويتية بدوار أولاد عسكر، فوجئنا في صبيحة يوم من أيام الأسبوع الأول من نوفمبر 1959 بهجوم جبار للعدو، فقتبل عدة مشاتي ومراكزنا السابقة ولكنه لم يعرف مركزنا ولكن كما هي العادة خزنا وسائلنا "وسائل الكتابة" بسرعة وغادرنا**

المركز..."[66].

– تعيين كل كتّاب الولاية في مناصب قيادية وفقا لتعليمات قائد الولاية صالح بوبنيدر (صوت العرب) الذي أعطى أهمية كبرى للشبان المثقفين، فقد أدرك أن تحطيم مخطط شال وعملياته لن يتمّ إلّا بالاعتماد على كل الطاقات في الثورة ومن ضمنها الشبان المثقفين الذين كانوا يقومون بوظيفة كتّاب للقادة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة رغم كفاءتهم القتالية والنضالية [67].

– توقيف الاجتماعات وما يتمّ فيها من محاسبات ودراسة تقارير التي يمنع حملها أو نقلها من طرف المسؤولين السياسيين والاقتصاديين وأنَّ المحاسبة والاجتماعات الهامة تتمّ بصفة استعجاليه وفق مبادرة من المسؤولين وكل في مستواه مع منع المجاهدين من حمل بطاقتهم التعريفية الخاصة بالجبهة حتى لا تعرف القوات الفرنسية شخصية المجاهد عند استشهاده مما يعرض عائلته إلى الاضطهاد والقمع[68].

– تنظيم كلّ المواطنين الفارين من قوات العدو ودمجهم باعتبارهم مجندين وتشغيلهم في أعمال الهندسة المدنية كبناء الأكواخ والمستشفيات والمخابئ وعمليات التخريب وفي النشاط السياسي، وأغلب هؤلاء الفارين هم ممن رفضوا التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي.

– تمكين قادة المناطق من اتّخاذ إجراءات استعجاليه حسب ما تقتضيه الحالة العسكرية والظروف خاصة تلك التي تقتضي الحفاظ على الأرواح والممتلكات دون الرجوع إلى القيادة، كإصدار أوامر توجيهية لفرق جيش التحرير بالهجوم على بعض المراكز والوحدات العسكرية الفرنسية، لفكّ الحصار على سكان الدواوير والمناطق الذين شهدوا خناقا شديدا للممارسات القمعية، وكثيرا ما كانت تحقق نتائج إيجابية ضد العدو.[69]

– الدعوة إلى مواصلة الاتصال بالشعب وتأطيره بتحذيره من الأخطار والشكوك التي يبثها العدّو في صفوف الشعب وتوجيه السكان من قبل إطارات الثورة والمرشدين السياسيين بالمساهمة في إفشال المخططات الفرنسية من خلال دعوتهم لمقاطعة الانتخابات بكلّ أنواعها وعدم قبول عروض العدو المغرية، فكثيرا ما كان يتم تأطير السكان من قبل لجان المؤسسات والجمعيات الخيرية ولجان القضاء والمجالس الشعبية هذه الأخيرة كانت كثيرا ما توجّه إليها رسائل تدعوهم إلى تنظيم موعد مع السكان للاجتماع مع قادة الثورة حتى يتأكّد لهم عدم القضاء على هؤلاء القادة وتفنيد دعايات العدّو والردّ على أكاذيبه، وفي هذا الصدد صدرت أوامر بتاريخ 1960/02/22 كالتالي: "**قوموا باجتماعات للشعب، نددوا بوحشية الاستعمار، شجعوا الشعب في كفاحه، أشعروه بمسؤولياته في الثورة، بينوا له الحوادث الهامة الداخلية والخارجية**". ونظرا لسلوك العدّو المشين وقهر المواطنين والأسرى من المجاهدين أمرت الثورة كلّ المواطنين بالاعتراف للعدّو بأنَّهم يعرفون المجاهدين وبأنّهم يدفعون للاشتراك لهم مجبرين وبأنّهم يوجدون في كلّ مكان [70].

3.4. في الميدان الاقتصادي

– تحويل العديد من الأقسام والوحدات النظامية إلى أداة لجلب التموين لانعدام وسائل النقل خاصة البغال والحمير ولاحتجاج الكثير من مالكي هذه الحيوانات، لذلك كان لزاما على المجاهد جلب المؤونة من السهول

والقرى والمدن على أكتافه حتى يتمكن من إيصالها فلا يزيد على نفسه مشقة حراسة وتغذية وسائل النقل ثمّ الحفاظ عليها خاصة مع نقص المؤونة والغذاء [71].

– تخزين أكبر كمية من المواد الغذائية والألبسة والاقتصاد فيها والاكتفاء بأقل ما يمكن ومحاولة الاستفادة من النباتات الطبيعية، مع اعتبار الزبدة والسميد من الكماليات والتي يمنع استهلاكها حيث كانت توجه للمرضى والجرحى فقط[72].

– مواصلة جمع الاشتراكات والهدايا والتبرعات مع منع حمل الأموال عند التنقل، وإبقاء مدفوعات الزكاة من حبوب وأغنام لدى أصحابها ويؤخذ منها حسب الحاجة، مع توجيه ميزانية إضافية للهيئات التي تتولى قيادة وتغذية عناصرها بنفسها[73].

4.4. في الميدان الصحي

تميزت بداية التنظيم الصحي بالبحث عن مواقع جغرافية آمنة لإقامة مراكز طبية تحكمها تدابير تخضع لعامل الزمان والمكان وظروف الحرب، وتوفير المستلزمات الطبية اللازمة، الأمر الذي جعل المراكز الصحية التابعة لجيش التحرير لا تتوفر على نفس المعطيات، فكلّ منطقة حسب إمكانياتها الخاصة وظروفها الأمنية، إلّا أنّها تتفق في الخطوط العريضة لنظام المستشفيات الذي أقرته مصلحة الصحة لجيش التحرير.

ومع المرحلة الجديدة التي شهدت تطوّر أحداث الثورة بتكثيف العمليات العسكرية والفدائية لوحدات جيش التحرير، والقيام بالعمليات العسكرية التمشيطية الكبرى للجيش الفرنسي، وجدت الثورة نفسها أمام مرحلة صعبة وخطيرة، تطلبت إعادة النظر في سياستها الصحية، وإعادة تنظيمها وفقا وما يتماشى مع خطورة المرحلة، اذ وُضع تصميم لبناء المستشفيات وفق نموذج محدّد حتى تكون على شكل عصري ومناسب تخضع لظروف الحرب في المنطقة ومن أهم التوجيهات الأساسية المتبعة صحيا خلال عملية الأحجار الكريمة ما يلي:

– اقتصار مصحات الجيش على استقبال وعلاج كبار المعطوبين الذين يستقبلهم الممرضون وكلّ حسب اختصاصه، هذه المصحات كانت داخل المخابئ تحت الأرض تنشط في سرية وتحت حراسة مشددة، إلّا أنّه كانت تتغير رغم حاجة أفراد الجيش لوجودها كمراكز ثابتة وهي إجراءات اتخذها قيادة الولاية كاحتراز أمني، كما كان يوزع المرضى على أقسام، كما أنَّ الأدوية يتمّ توفيرها من قبل المواطنين الذين لهم تأمين اجتماعي حفاظا على السرية وسلامة المواطنين.

– اختيار مجموعة من الشبان المتعلمين وتكوينهم على التمريض في سرية تامة وإخراجهم من المدن نحو الجبال ثم يوزعون على الأقسام لعلاج الجرحى من الجيش والشعب.

بهذه التدابير وغيرها جابهت قيادة الولاية الثانية عملية الأحجار الكريمة دون كلل، وحققت بذلك نجاحا عسكريا باهرا على القوات العسكرية الفرنسية المدعّمة بقوات الحلف الأطلسي واللفيف الأجنبي، فمن الناحية التكتيكية كيف جيش التحرير كفاحه مع واقع هذا البرنامج وتوزع إلى فرق صغيرة وكفّ عن مواجهة جيش

الاحتلال في المعارك الكبيرة وركز على حرب العصابات والانتقال إلى المناطق التي يخليها الجيش الاستعماري، ومن الناحية الاستراتيجية فشلت هذه العملية في تحطيم فرق جيش التحرير واضطرت القوات الفرنسية طوال عامي 1959 و1960 أن تواصل عملياتها العسكرية محددة لها الزمان والمكان مسبقا.

5. نتائج عملية الأحجار الكريمة

عملت السلطات الفرنسية على إخفاء خسائر قواتها واكتفت بتقديم بعض الإحصائيات على خسائر قوات جيش التحرير ووجهت تعليمات خاصة للصحافة بعدم نشرها، وراحت تصف نتائج العملية بالمذهلة وذهبت بعض المقالات الفرنسية بالكتابة بأنَّ قوات شال قد تمكنت من القضاء على التنظيم السياسي والإداري لجبهة التحرير بالمنطقة وقيمت نتائج سنة 1959 إجمالاً بشكل خاص بالتمكن من القضاء على 26600 مجاهد وأسر أكثر من 1100 آخرين إلى جانب ضبط 700 قطعة سلاح[74]، كما قامت قيادة الأركان الفرنسية بالتفاخر من أنّها تمكنت من القضاء ما بين 40 %و 50 % من العدد الإجمالي للمقاتلين والأسلحة، مركزة على إنجاز إضافي حققته هذه العمليات وهو تجميع 80.000 نسمة كانوا من قبل خارج سيطرتها منتشرين عبر الجبال والمناطق المحرمة، ومثل هذه النتائج لم تقنع جريدة المجاهد فقد حكمت عليها بالفشل الذريع [75].

وبالرجوع إلى الدراسة التي أجراها الباحث بن شرقي استنادا على العديد من الوثائق الأرشيفية الفرنسية، نجده يفصل نتائج عملية الأحجار الكريمة بعد خمس أشهر من انطلاق العملية (من 02 نوفمبر 1959 إلى 16 مارس 1960) حسب الجدول التالي[76]:

الخسائر المادية والبشرية للجيش الفرنسي	الخسائر المادية والبشرية لجيش التحرير الوطني
114 قتيل و337 جريح	1639 شهيد و768 أسير
20 مفقود	استسلام 63
53 فار	53 أسلحة جماعية
02 مدفع رشاش (Matr)	09 مدفع رشاش (Matr)
04 سلاح من نوع (FM)	419 بنادق صيد و09 مدفع
61 بندقية حرب	315 بندقية حرب
37 سلاح من نوع (PM)	57 سلاح من نوع (PM)
02 مسدس أوتوماتيكي	180 مسدس أوتوماتيكي
	787 أسلحة حرب فردية
	01 مدفع عيار 20ملم وقذائف هاون عيار 50 ملم

وقد ازدادت حصيلة الخسائر لكلا الطرفين بعد ثمانية أشهر من إحصائيات الجدول السابق أو يمكن القول بعد سنة من انطلاق العملية (01 نوفمبر 1959 إلى غاية 15 نوفمبر 1960) وهي كالتالي[77]:

الخسائر المادية والبشرية للجيش الفرنسي	الخسائر المادية والبشرية لجيش التحرير الوطني
296 قتيل	3600 شهيد
541 جريح	1500 أسير

40 مفقود	استسلام 36
89 فار	53 سلاح جماعي
14 سلاح جماعي	787 سلاح حرب فردي
251 سلاح حرب فردي	1387 بنادق صيد

أما نسبة استرجاع الأسلحة فهي كالتالي:

- 31.2 % سلاح جماعي.
- 29.1 % سلاح حرب.
- 45.6 % أسلحة صيد.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، ما يمكن قوله حول خطة شال وعمليته العسكرية (الأحجار الكريمة) التي استهدفت الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)، أنَها قد اصطدمت بمقاومة كبيرة أكثر ممّا لقيه بعملياته السابقة، وساهمت في ذلك عدّة عوامل منها أنَّ عنصر المفاجأة كان ضعيفا للغاية في الولاية الثانية التي كانت تنتظر دورها في مخطط شال منذ شهور وكانت قد استعدت لذلك مسبقا بتقسيم كتائبها إلى فرق صغيرة منذأفريل1959، لذلك لم تحقّق خطته هذه المرة نتائج في مستوى الإمكانيات المستخدمة بسبب التشتت الرائع لوحدات جيش التحرير واستغلال جغرافية المنطقة وتضاريسها وغطاءها النباتي، وسوء الأحوال الجوية التي لم يعرف كيف يتنقل خلالها الجيش الفرنسي ،فقد كان الجنود المبللون بالأمطار يسيرون على مقربة من أفراد جيش التحرير دون أن يتمكنوا من كشفه.

على أية حال كانت النتائج رغم خطورتها بالنسبة إلى الولاية الثانية مخيبة لآمال شال ونوابه الذين اعتبروها هزيلة مقارنة بالإمكانيات المسخرة، فأرجعت القيادة الفرنسية ضعف النتائج المحققة لا إلى المقاومة بل إلى عوامل جغرافية ومناخية.

إنّ خطة جيش التحرير في محاربة خطة شال العسكرية لم تؤد إلى إفشال مشروعه فحسب بل أدت إلى تغيير القيادة العسكرية في الجزائر وعلى رأسها شال الذي استدعي إلى باريس الذي استبدل بالجنرال كريبان الذي واصل هو الآخر مشروع شال بشن عمليات عسكرية على الولايات المتبقية.

الهوامش:

1 Maurice CHALLE, (1968), **Notre révolte**, Presse de la cite, Paris, P 40.41.

2 SHAT.1H.1235/D3.sur Les Débuts des Opérations Pierres Précieuses,10/12/1959.et voir aussi M. TEGUIA, (2009), **L'Algérie en guerre**, Ed Office Des Publication Universitaires, P.306.

3 كان من المفروض أن تنتهي قبل بداية موسم الأمطار في سبتمبر1959 إلا أنه اضطر إلى تمديدها فتواصلت إلى غاية بداية أفريل من سنة 1960. ينظر إلى.M. Challe, **Notre Révolte,** Op.cit,P.40.

4 M. Challe, **Notre Révolte**, Op.cit., P.121.

5 إبراهيم رأس العين، (2011)، **مذكرات مجاهد إبراهيم رأس العين**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ص 52.

6 Michel FORGET, **(2002), Guerre froide et guerre d'Algérie. Témoignage sur une période agitée. Economica**, P178.et Voir M. CHALLE, **Notre révolte**, Op.cit., P.41.

7 Yves COURRIERE**, La Guerre d'Algérie IV (Les Feux Des Espoir)**, Fayard, Paris, 1988, P.15.

8 تذهب جريدة المجاهد في أن القيادة الفرنسية لم ترد أن تكشف عن عدد القوات المشاركة بالعملية حتى يتسنى لها أن تتستر على هزيمتها فيما بعد وحتى لا تتكرر لها فضيحة عملية جيمال، ينظر إلى جريدة المجاهد، العدد 57، بتاريخ 1959/12/15، ص.03، وأيضا ينظر إلى بوعزيز يحيى(1980) ، **ثورات القرن التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار البعث، الجزائر، ص.391.

9 **SHAT.1. H.4312/D01** P.C. Languedoc (organe de commandement du corps d'armée de Constantine pour la zone « Pierres précieuses » et Voir Aussi Historia Magazine, le Général et l'armée (La clochardisation) ,P.2283 et voir aussi M.TEGUIA ,**L'Algérie en guerre** ,Op Cit,P.306.

10 الأخضر بوالطمين،(1991) ، "**الولاية الثانية تفشل مخطط شال**"، مجلة أول نوفمبر، العدد 130-131، ص.43.

11 Michel FORGET, **La Guerre …,** OP Cit, P.178. Et Voir Bernard TRICOT, (1972), **les sentiers de la paix, Algérie1958/1962**, Ed Pion, Paris, P.173.

ينظر أيضا يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص.391.

12 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، ص.143.

13Mohamed HABRI et Gilbert MEYNIER, (2004), **Le FLN Documents et Histoire 1954-1962,** FAYARD, France, P.101.

14 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص147. ينظر أيضا إلى علي كافي، (1999) **مذكرات الرئيس علي كافي (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962)**، دار القصبة، الجزائر، ص. 203.

15 SHAT.1. H.1681, **la Willaya 2 avertit la wilaya 2 de l'arrivée prochaine de l'offensive Challe** ,13/03/1960.

ينظر أيضا ابراهيم رأس العين، **مذكرات**، المصدر السابق، ص52.

16 علي كافي، **مذكرات الرئيس علي كافي**، المصدر السابق، ص203.

17 المجاهد، العدد 57، المصدر السابق، ص. 03، ينظر أيضا إلى يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص.391.

18 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.143.

19 **المجاهد الطيب سديرة:** مجاهد بالقاعدة الشرقية ورئيس منظمة معطوبي جيش التحرير، شهادة مسجلة حوار سجلته معه ببته بسوق أهراس، يوم 2021/12/27.

20 Ali KAFI **(2002), Du Militant Politique au Dirigeant Militaire Mémoire (1946-1962**), Ed Casbah, Alger, P.185.

21 IPID, P.173.

22 الأخضر بوالطمين، **الولاية الثانية تفشل مخطط شال**، المصدر السابق، ص.41.

23 SHAT.1.H.12955/D2, opérations **«Pierres Précieuses» en zone Nord constantinois : opérations «Émeraude» et «Turquoise».**

24 Général JACQUIN (C.R), **Partie de l'Oranie, le Général Challe Poursuite sa marche Vers l'est Historia** Magazine, Op Cit, P.2312. Et P.2174.

25 إحدى الدوائر الشمالية لولاية ميلة.

SHAT.1. H.1953/D2, **Instructions Pour L'Opération Turquoise**,27/10/1959, P.05.

26 بن شرقي حليلي،(2015) ، **مخطط شال العسكري ورد فعل الثورة الجزائرية (1959-1960)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ص.265.

27 **Challe a la Poursuite Des Djounoud**, Historia magazine, OP.Cit, P.2309, et voir aussi Yves COURIER,(1971) **Les Feux Des Espoir** ,Fayard, Paris,P.22.
Les Feux Du Désespoir

28 SHAT.1.H.1953/D2, OP Cit,P.01-02.

29 SHAT.1.H.1953/D2,**Instructions Pour L'Opération Turquoise**, OP.Cit,P.04.

30 Ibid., P.05.
31 SHAT.1. H.1600/D2, **Les Principale Opération**, P.01.
32 M.TEGUIA, **L'Algérie…**, **Op.cit** , P.306.
33 SHAT.1.H.1953/D2,**Ordre D'Opération "Emeraude 1**",05/11/1959,P.02.
34 SHAT.1.H.1600/D2,OP Cit,P.01

35 بن شرقي حليلي، **مخطط شال**، المرجع السابق، ص.266.

36 المجاهد، العدد 57، المصدر السابق، ص.03.

37 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.157.

38 في صيف 1959 خلال اجتماع عقداء الولايات الداخلية مع كريم بلقاسم وبن طوبال وبوصوف وقادة جيش الحدود محمدي سعيد وهواري بومدين تم تقديم تقارير الولايات وقدرت القوات العسكرية للولاية الثانية بـ : 3338 جندي نظامي مسلح، 118 فدائي، 1176 مسبل، 499 دركي، 78 حارس غابة ، 113 طبيب وممرض وقدر نفس التقرير حالة التسليح للولاية بالسيئة جدا مع انعدام الموارد المالية، ينظر إلى عبد الله مقلاتي، "**استراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة مخطط شال 1959–1962**"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، المجلد 09، العدد 18، سبتمبر 2015، ص.300.

39 G.MEYNIER, **Histoire de la guerre d'Algérie**, Albin Michel, Paris, P.302.
40 Mahfoud KADDACHE, (2003), **Et L'Algérie se libéra (1954-1962)**, Paris Méditerranée ,Paris, P.P.163-164.

41 صالح بلحاج،(2012) ، "**مخطط شال وآثاره في تطور حرب التحرير الوطني**"، مجلة المصادر، العدد 12، الجزائر، ص.182.

42 SHAT.1.H.1681/D02, **Evolution des méthodes de la rébellion dans les trois corps d'armée et au Sahara (1956-1960), la Willaya 2 avertit la wilaya 1 de l'arrivée prochaine de l'offensive Challe** ,13/03/1960.

43 الأخضر بوالطمين، **الولاية الثانية تفشل مخطط شال**، المصدر السابق، ص.42.

44 Mohamed HARBI et Gilbert MEYNIER, Le **FLN...**, OP. Cit, P.102.
45 SHAT.1H.1681/D02,**Evolution des méthodes de la rébellion Algérienne du 1/7/ 1959 au 1/7/1960**.

46 عمار قليل، (1991)، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج 2، ط1، دار البعث –قسنطينة، الجزائر، ص.210.

47 SHAT.1H.1681/D02,OP Cit.

48 توجيهات القيام بعملية فدائية كانت تنص على أن الفدائي لا يهرب بعد العملية الفدائية وعليه أن يتخلص من السلاح المستعمل (سلاح أو سكين) وأن يبقى داخل المدنية وسط الشعب حتى لا يثير الشبهة ، ينظر إلى :
Ali KAFI, **Du Militant Politique...,** Op.cit., P.190.

49 عمار قليل، المصدر السابق، ج2، ص.232.

50 المصدر نفسه، ص.239–240.

51 الأخضر بوالطمين، **الولاية الثانية تفشل مخطط شال**، المصدر السابق، ص.43.

52 إبراهيم رأس العين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.53.

53 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.170.

54M.HARBI et G. MEYNIER, Le **FLN**..., **OP Cit**,P.102.

55المجاهد، العدد 64، بتاريخ 1960/03/21، ص.03.

56SHAT.1.H.1681/D02, OP Cit.

57 حسب إحصائيات السلطات العسكرية الفرنسية فقد بلغت النشاطات العسكرية لجيش التحرير الوطني في سنة 1959م ما قيمته 17384 نشاط عسكري بمعدل 48 نشاط عسكري في اليوم. ينظر إلى:
Henri JACQUIN,(1977) , **Bilan d'une mission**, Historia Magazine, Julles tallandier, P.2348.

58 خلال فترة انعقاد المجلس الوطني للثورة في طرابلس في الفترة ما بين 17 ديسمبر 1959 و18 جانفي 1960 تم تدارس العمل التحضيري الذي اعقده العقداء العسرة وخلص المؤتمرون إلى قرارات مهمة منها التركيز على مواجهة مخطط شال بسياسة حازمة

ومضاعفة العمليات العسكرية على جبهة الحدود إلى جانب عدة قرارات أخرى، للمزيد من التفاصيل. ينظر إلى، عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص- ص.302-303.

59 المجاهد، العدد 57، العدد السابق، ص 03. أيضا ينظر إلى يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**...، المرجع السابق، ص. 392.

60 Général Maurice FAIVRE,(1997) **L'ALN extérieure face aux barrages frontaliers,** Vincennes, Ed CFHM, P.29.

61SHAT.1. H.1681/D02, Op.cit. et Voir

إبراهيم رأس العين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.54.

62Ali KAFI, Du **Militant Politique...,** OP. Cit,P.189.

63 Ibid., OP. Cit,P.209.

64 إبراهيم رأس العين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.54.

65 M.HARBI et G. MEYNIER, Le **FLN ...**, **Op.cit.**, P.103.

66 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.158.

67 بوالطمين جودي الأخضر، **لمحات من ثورة الجزائر كما شاهدتها وقرأت عنها**، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ،1981، ص.152.

68 عمار قليل، المصدر السابق، ج2، ص.210.

69 جودي لخضر بوالطمين، **مذكرات مجاهد**، المصدر السابق، ص.158 كما ينظر أيضا لنفس المؤلف، **لمحات من ثورة الجزائر**، المصدر السابق، ص.154.

70 بوالطمين جودي الأخضر، **لمحات**، المصدر السابق، ص.87.

71 Ali KAFI, Du **Militant Politique...,** P.190.

72عمار قليل، المصدر السابق، ج2، ص.213.

73 الأخضر بوالطمين، **الولاية الثانية تفشل مخطط شال**، المصدر السابق، ص.42.

74 Général JACQUIN (C.R) : **Partie de l'Oranie…**, Op.cit., P.2312

75 M.TEGUIA, **L'Algérie…**, Op.cit., P.306

76 بن شرقي حليلي، المرجع السابق، ص.266.

77 المرجع نفسه، ص.267.